

بين السُّنة والبدعة

لشيخ الإسلام ابن تيمية

دراسة وتحقيق
عبد القادر أحمد عطا

دار الكتب العلمية
بيروت — لبنان

الطبعة الاولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودَّةَ في القربى﴾

سورة الشورى آية ٢٣

صدق الله العظيم

★ ملحوظة: قام بتخريج أحاديث الكتاب وآياته القرآنية ووضع فهارس الكتاب الأستاذ / مصطفى عبد القادر أحمد عطا، ذلك لأن الأستاذ / عبد القادر عطا قد وافته المنية قبل إكمال هذا العمل، رحمه الله تعالى، واسكنه فسيح جناته.

مقدمة التحقيق

حقوق آل البيت

آل بيت النبي محمد ﷺ هم على وجه التحقيق: علي وفاطمة وأولادهما، ومن تناسل منهما حتى تقوم الساعة.

وآل بيت النبي مفروض على المسلمين حبهما ومودتهما بأمر الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودَّة في القربى﴾[1].

وحب آل البيت النبوي إنما كان من أجل رأس هذا البيت وهو رسول الله ﷺ...

وقضية الحب هذه شغلت أذهان الكثيرين من السابقين واللاحقين... وكان الانحراف فيها تبعاً لعدم التفرقة بين الحب النفسي، والحب العقلي القلبي.

فالحب النفسي انفعال ظاهري بظاهر الأشياء دون التعمق في بواطنها وفي أسرار جمالها الذي اقتضى هذا الانفعال.

الحب النفسي لا يعنى إلا بالظواهر وحدها، ومن ثم قد يحب الإنسان شيئاً جميلاً في ظاهره وباطنه، كأن يعجب بجوهر نفيس كالذهب والماس... وقد يحب شيئاً جميلاً في ظاهره دون باطنه، كأن يحب نمطاً من المجوهرات الصناعية البراقة الأخَّاذة بمجامع النفس... ولكنه في كلا الحالين لا يتجاوز

---

(١) سورة: الشورى، آية: ٢٣.

الظاهر إلى الباطن، ولا البريق إلى القيمة... فكل نصيب المحب هو الانفعال الفوري، والإعجاب الذي يجترف الأحاسيس من غير هوادة.

أما الحب العقلي القلبي فلا يعنى بشيء إلا البواطن والقيم، حتى ولو لم يكن في ظاهر الشيء المحبوب شيء مما اصطلح على تسميته بالجمال...

يحب الإنسان الرجل الصالح وإن كان فقيرا في ظاهره، كما يحبه وإن كان غنياً جميل الظاهر سواء بسواء.

ويحب المرأة العفيفة الصالحة وإن قل جمال ظاهرها، وافتقرت من المال، كما يحبها غنية جميلة الظاهر سواء بسواء.

ويحب الزهرة الجميلة لا لأنها تزين الموائد والمحافل، ولكن لأن دلالاتها على إبداع الخلق أكثر من أن تحصى...

ويحب المال لا لأنه وسيلة ترف وزينة، ولكن لأنه يستطيع أن يغني به فقيرا، ويحافظ على إيمان مؤمن ويحمي عرض مضيع من أهله وقومه.

هذا هو الفرق بين حب النفس وحب العقل والقلب.

ومن هنا اختلف التعبير عن هذا الحب تبعاً لقدرات النفس المنفصلة عن العقل، أو لقدراتها مقترنة وممتزجة بقدرات العقل والوجدان القلبي العميق...

ولقد نجح الرسول ﷺ في وصل نفوس أصحابه بعقولهم وهم يعبرون عن حبهم له.

وردهم في بعض الحالات التي عبروا فيها نفسياً عن هذا الحب حين قال له بعضهم: ألا نسجد لك؟ فأعلن أنه عبد ولا شيء غير عبد الله ورسوله، وأن المستحق للسجود هو الله وحده...

وكان اجتماعه بهم، واقتداؤهم به في العمل عاملاً رئيسياً في تحويل حبهم النفسي إلى حب عقلي وجداني بلغ قمته في قول الأنصار: « والله يا رسول الله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ».

وكانت عهودهم معه تنص على: أن يحموه مما يحمون به أنفسهم وأهليهم... وبذلوا دماءهم تعبيراً صادقاً عن حب الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله.

﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [٢].

عبروا عن حبهم بالعمل على مقتضى سنته ومقتضى القرآن لا يحيدون ولا يكسلون.

وعلموا: أن الحب هو الموافقة في القول والعمل والسمت والحلية، وداسوا في سبيل العمل كل زينة وكل بهرج تهواه النفس بخداعها وضلالها، ومحاولتها الحيدة بصاحبها عن المنهاج السوي.

ومضت السنون، وكان آل البيت قادة في العمل، وأعجب بهم بعض الناس إعجاباً نفسياً ظهرت صورته في الصراخ والهتاف وتكثير الجموع، وإشاعة الخرافة، حتى قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين لبعض غلاة الشيعة: « **أحببتمونا حتى صار حبكم علينا عاراً** ».

ويستحيل أن يكون حبهم عليهم عارا وهم يقتدون بهم في القول والعمل. اللهم إلا أن يكونوا قد انحرفوا إلى نوع من الخرافة النفسية الخادعة هو الذي دفع الإمام إلى هذا القول.

لقد ردد غلاة الشيعة أقوالاً حول عصمة الإمام، وحول استقلال الإمام،

---

(٢) سورة: النساء، آية: ٨٠.

بحساب شيعته يوم البعث، وتلك نحلة نضجت تماماً على يد حسن الصباح زعيم الحشاشين في « الموت ».

وبدأت صفات الربوبية تتسلل إلى الأئمة والدعاة والأبواب، تعبيراً نفسياً خالصاً عن الحب الممزوج بخداع النفس مركب الشيطان.

ولهذا سألوا الإمام زين العابدين: متى يبعث الإمام؟ يعنون علياً رضي الله عنه ـ فقال: « يبعث يوم القيامة وتهمّه نفسه وحدها، ولا شأن له بغيره أمام أحكم الحاكمين ».

وتطور خداع النفس، وتطور صرفها لأصحابها عن العمل تعبيراً عن الحب إلى مظاهر أخرى بعيدة عن العمل المشروع... فنصبت الأضرحة على مقابر آل البيت والصالحين بشكل معين يكاد يكون واحداً في كل صقع من الأصقاع، وأوقدت القناديل، وأحرق البخور ونحرت الذبائح، وأقام المنتفعون حولهم يذيعون الخرافة، ويبتزون الأموال، ويصطنعون كل ما يثير شوق النفس إلى عالم الأسرار.

والحق أن هذا السلوك كان عجزاً عن العمل، وعجزاً من العقل عن تلك الرحلة المضنية التي يصل من خلالها إلى اليقين بالله، فصنعت له النفس مصدراً سهلاً من اليقين المتسلسل من عالم المادة إلى عالم الغيب. وما على الإنسان إلا أن يوقن بسر العالم المادي، فإذا اليقين بالغيب مكتوب ومحكوم به لهذا العبد لا يخطئه ولا يتخطاه.

ولست أول من قال بذلك.

ولكن الإمام الناقد الجليل الحارث بن أسد المحاسبي أفاض في القول بذلك في كتابه « آداب النفوس » [٣] وأقام الأدلة المحسوسة على ضلال الحب

(٣) أنظر: آداب النفوس للمحاسبي. من تحقيقنا.

في أي مظهر إلا في العمل الموافق لمرضاة الله عز وجل.

فهذا يقول: إن الجائع يحب الطعام، والعطشان يحب الماء، ولا يكتفي الجائع بوضع الطعام أمامه، ولا العطشان بتعليق الماء في رقبته، حتى ينال من الطعام ويشرب من الماء، فإذا قرب الطعام والشراب إلى الجائع والعطشان فلم ينل أحدهما من أحدهما شيئا، كان كاذباً من دعواه الجوع والعطش.

وهكذا فالذي يحب الله ورسوله، هو كاذب في دعواه إن لم يعمل وفق أمر الله ورسوله.

بل إن هذا هو المشهود في عالم الدنيا ممن يحب بعضهم بعضا من الناس، فنجد من يحب إنسانا يسعى بكل جهوده ليرضيه ويعمل بما يريد حتى يرضى.

فكيف إذا كان الحب لله ورسوله تحولت الرغبة من الإرضاء إلى صراخ وعويل وشموع ونذور باطلة؟!!

وكما يقول المحاسبي: «يتقرب إلى الله بما يسخط الله».

ونحن لا نرمي كل المحبين بهذا السفه في الرأي، والعته في الفكر... وإنما هم شراذم من الخلق أعماهم الجهل، وأصمَّهم العجز، وأبوا أن يعترفوا بعجز وجهل، فراحوا يشيعون حول أنفسهم وحول من أحبوهم عالماً من الأسرار ربما كان المحبون منه براء، وادَّعوا لأنفسهم نوعاً من الوراثة والوصاية على تلك الأسرار، وحثوا الجهلاء على التقرب للمحبوبين بمثل ما تقرب به أولئك السدنة في هيكل الأسرار، وحذروهم من الاعتراض على أعمالهم خوفاً من أن يصيبهم المحبوبون بالدمار والبوار.

لقد أصبحنا نسمع في عالم الأسرار أقوالاً ما كانت في أقوال السلف، وما نزل بها قرآن، وما نطقت بها سنَّة، نتيجة لهذا الانحراف في المسلك حين

يحب الإنسان الجاهل ربه ورسوله وصالحي أهل دينه.

ومنها: المحسوب منسوب ولو كله عيوب»!!؟

«من اعترض انطرد»!!؟

«احذر من الاعتراض على شيخك ولو وجدته على كبيرة من الكبائر، فإن له حالاً لا تعلمه»!!؟.

وقد كان رسول الله ﷺ أولى بذلك حينما اعترض عليه عمر رضي الله عنه لما توجه للصلاة على عبد الله بن أبي سلول رأس النفاق حين مات، ولم ينهه رسول الله ﷺ عن الاعتراض، بل رد عليه مبيناً وجهة نظره في هدوء المعلم الحكيم الهيِّن الليِّن.

تلك هي قضية هذا الكتاب التي عالجها الإمام ابن تيمية علاجاً عقلياً وفقهياً، مبيناً ضلال غلاة الشيعة عن مذهب الإمام علي رضي الله عنه، وضلال الجهلة من المحبين عن سنة رسول الله ﷺ.

الصراع بين ابن تيمية وخصومه

عاش الإمام ابن تيمية في عصر تبدلت فيه أحوال الأمة الإسلامية فكراً وسلوكاً، وكان ذلك منذ أن بعدت عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبذلك تخلفت عن الدور القيادي الذي قدره الله لها، وأمرها بأن تسير إليه على طريق الجهاد... وكان أن أخذت الأمة من فكر غيرها مما لا يحكمه كتاب ولا سنّة بقدر ما تركت من هذين المصدرين الرئيسين في شرعة الإسلام.

وارتفعت الصيحات المخلصة تدعو الأمة حكاماً ومحكومين وعلماء وعامة إلى الأخذ بمنهج الإصلاح الذي صلحت به حال هذه الأمة من قبل، وهو العودة إلى الكتاب والسنّة والا سترشاد بمفهوم السلف الصالح وتطبيقهم لما في الكتاب والسنة من المبادىء والمقومات البناءة للنهضة والإصلاح.

كان المرض الذي أصاب الأمة هو الزيف الفكري، والابتداع الزائف لشرع الله وسنّة رسوله.

وقد أدى هذا الابتداع الزائف إلى صراع مرير بين دعاة الإصلاح عن طريق العودة إلى سلوك السلف من الصحابة والتابعين وبين أولئك الذين أعطوا أنفسهم حق الاضافة والحذف كما يحلو لهم، وفيما ليس لهم فيه حق.

واقتضى هذا الصراع ظهور مدارس متعددة تدور حول العقيدة والسلوك وهما حركة الإسلام..

وكانت أبين هذه المعارك وأظهرها صيحات شيخ الإسلام ابن تيمية في

القرن الثامن الهجري في وجه التصوف والصوفية إذ حمَّله ابن تيمية تبعة كثير من مظاهر الفساد في الأفكار والابتداع في السلوك.

ولئن كان الحوار بين ابن تيمية وخصومه ساخناً وحاداً ولاذعاً باعتبار أن ابن تيمية كان يمثل الهجوم الذي يعنى ببيان الحق وتمييزه عن الباطل، ومع ذلك فلم يمنع خصومه من أن يوافقوه على هجماته على الصوفية في عصره.

ومن يدمن مطالعة مؤلفات ابن تيمية يمكن أن يدرك بسهولة أنه كان يميل إلى الزهاد الأوائل، ويمدح شيوخ التصوف المشروع، وفي الوقت نفسه كان ينعي على ابن عربي وأتباعه، ويربط بين الإشراقية والصائبة.

لقد رُمي شيخ الإسلام بالغلظة وتحجر القلب من جانب الصوفية...

والحق أنه لم يكن غليظ القلب ولا متحجراً، ولكن طبيعة الحوار الساخن الذي دار بينه وبين خصومه وهو يدعو إلى وحدة الفكر والسلوك تحت لواء السلفية قد غطى على كثير من جوانب الرقة والروحية في شخصيته، بل إنه كان يفيض رقّة حين كان يأوي إلى المساجد المهجورة يناجي ربه أن يفتح عليه مغاليق الفكر في مسألة قائلاً: «يا معلم ابراهيم علمني».

والحق أن ابن تيمية ركز هجومه على المدارس التي ظهر فيها إيهام الحلول والاتحاد كمدرسة ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، والحلاج.

وقد تتبع ابن تيمية الأفكار التي أثرت في الحلاج من معاصريه أو من قريبي العهد من عصره كابن بسكويه (٣٦٩ هـ) والحافظ البغدادي (٤٦٣ هـ).

وأثبت باطنية الحلاج وادعاءاته الباطلة مثل فتوى ابليس، وبما جرى على لسانه من قوله: «أنا الحق» وهاجم اعتذار الصوفية عن الحلاج، وكشف أن الحلاج حاول خداعهم بمثل قوله: «عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك

بالباطل ».

ولم يكن ابن تيمية يعبر عن فكره المجرد في قضية الحلاج بل إنه حكم الشرع في أمره حيث حاول أن يسقط ركن الحج من الإسلام.

نأسف أشد الأسف لما أصاب التصوف على أيدي أهله من موبقات نرى أنها تمثل خطرا على العقيدة ذاتها، ويمكن إجمال تلك الأخطار فيما يلي:

١ - فقد تطورت المصطلحات الصوفية الأساسية تطوراً خطيراً نظراً للاستهواء الذي يفوح من أرجاء عالم التصوف، ونظرا لما يتبع الصفاء الروحي من شفافية قد حجبت الكثافة المادية إلى ما وراءها من المعاني كل ذلك أدى الى تطور خطير في المصطلح ابتُعِد به عن أصله الصحيح إلى تفريعات باطلة لا أصل لها من دين، في الوقت الذي تنضح فيه بالابتداع.

فمثلاً مصطلح « المريد ». وهو من الإرادة: والإرادة في المصطلح العلمي السلوكي الذي يمكن أن نسميه بالمصطلح الصوفي هي عملية تسبق النية في العمل، إذ يحدد العامل إرادته من عمله، لماذا يعمل هذا العمل، وحينما يحدد إرادة الله يبدأ في تصفية إرادة الله من كل شائبة ومن كل خاطر يختلط بتلك الإرادة فيفسدها.

هذا التحديد هو الإرادة، وفاعله هو المريد. لكن هذا المصطلح تطور فأصبح المريد هو مريد الطريقة، ثم تطور فأصبح المريد هو مريد شيخ بعينه... فمن إرادة الله إلى إرادة الشيخ كانت بلايا لا يعرف مداها إلا الله والراسخون في العلم.

٢ - وترتب على فساد المصطلح هكذا عدوان على العقيدة ذاتها. فالشيخ الجاهل قد استهواه اجتماع مريديه من حوله، وأصبح مشغولا بالحفاظ على هذا المجد الدنيوي الذي يجمع الناس من حوله طائعين لأمره، مبجلين،

خاضعين لسلكانه ومن ثم ابتدعت تعليمات وقواعد لآداب المريد شيخه منها :

(أ) ألاّ يسيء الظن بشيخه ولو رآه على كبيرة من الكبائر!!؟ وهنا اختلفت التعليلات.

فمن قائل: إن الشيخ له حال مع الله لا يعلمها إلا الله فلا يجوز الاعتراض عليه.

ومن قائل إن الشيخ مرشد وليس بمعصوم...

ولكننا في كلا الحالتين لا ندري علة شرعية لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأصل النصح لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم.

وكيف يمتنع الاعتراض على شيخ مرتكب للكبيرة، ولم يمتنع الاعتراض على رسول الله ﷺ من عمر حين ذهب للصلاة على زعيم المنافقين ومنه ومن غيره في صلح الحديبية.

(ب) ألا يجلس على سجادته ولا يأكل في حضرته ولا يستعمل ما يستعمله الشيخ من وسائل الحياة لئلا يلحقه المقت من الله!!؟

وعللوا هذا بأن حال الشيخ في سجادته فربما كان حالا لا يطيقه المريد فيضطرب أمره!!؟.

وتلك فرية ما علمنا لها أصلا من شرع الله ولا في سنة رسوله أبدا.

(جـ) أن يصور شيخه بين عينيه حين الذكر ولا يدع صورته أبدا حتى يغيب في الذكر... وهذا شرك واضح لا يحتاج إلى بيان.

(د) أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله لا يتحرك ولا يتكلم!!؟

(هـ) أن يطيع شيخه طاعة عمياء ولو لم يعلم لأمره إياه حكمة ظاهرة!!؟

وغير هذا كثير مدون في آداب المريد مع شيخه في كتب السلوك الصوفي خلاصتها... « عبادة الفرد » أو إذلال المسلم والحجز على فكره ولو كان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر.

تلك بعض البلايا التي تطور إليها السلوك الصوفي، والتي كان بعضها أو كلها موجوداً في عصر ابن تيمية، مما يعطى هذا الإمام حقه كاملا في الدفاع عن الإسلام، وفي شجب كل ما يهدده من الأوهام من قريب أو من بعيد سداً للذريعة، ومنعا للجريمة قبل وقوعها...

ومع كل ذلك فلم نعلم أن التصوف قد تطور في عصرنا الحاضر إلى شيء نافع للإسلام والمسلمين... اللهم إلا حشد من جهلاء المشايخ ضاع بينهم المخلصون... وطقوس وثنية من الطبل والزمر والبكاء والتعرية أثناء ذكر الله... ثم الرقص البشع، ثم الاختلاط المزري بين الجنسين، ثم دنيا المجاذيب بما فيها من الأحوال المزعومة التي لا يجوز الاعتراض عليها من مخلوق وإلا حاقت بالمعترض لعنة الله!!؟.

نسأل الله تبارك وتعالى السلامة في ديننا ودنيانا، والمغفرة من كل ذنب، والعصمة من كل أمر.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسان الى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العامل فريد عصره، مفتي الفرق، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه، وأعلى درجته:

هذا الكتاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون. الذين يحبون الله ورسوله، ومن أحبه الله ورسوله، ويعرفون من حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله، فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته.

كما قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (١).

وقال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني» (٢).

وقال ﷺ فيما رواه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنما

---

(١) سورة: النساء، آية: ٥٩.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب ١٠٩. وكتاب الاعتصام باب=

الطاعة في المعروف »[٣] .

وقال: « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[٤] .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونصلي على إمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبده ورسوله، ﷺ تسليماً كثيرا . أما بعد :

= ٢، وكتاب الأحكام باب ١ . ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة حديث ٣٢ . والنسائي في سننه في كتاب البيعة باب ٢٧ . وابن ماجة في سننه في المقدمة باب ١، وفي كتاب الجهاد باب ٣٩ . والإمام أحمد في المسند ٢/٩٣، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣١٣، ٣٤٢، ٣٨٢، ٤١٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٥١١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام باب ٤، وفي الآحاد باب ١، وفي المغازي باب ٥٩ . ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة حديث ٣٩، ٤٠ . وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب ٨٧ . والنسائي في سننه في البيعة باب ٣٤ . والإمام أحمد في المسند ١/٨٢، ٩٤، ١٢٤ . وأشار السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٩٩٠٢ إلى أنه حديث صحيح.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند، والحاكم في مستدركه عن عمران بن الحصين. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: « رجال أحمد رجال الصحيح، ورواه البغوي عن النواس، وابن حبان عن علي بلفظ « لا طاعة لبشر في معصية الله » وله شواهد في الصحيحين. وأورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير وصححه.

وحدة المسلمين بالكتاب والسنة

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالكتاب والحكمة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

وقال الله تعالى:

﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (٥).

وقال تعالى:

﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ (٦).

وقال لأزواج نبيه:

﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (٧).

والذي كان يتلوه هو رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه: كتاب الله والحكمة.

فكتاب الله هو القرآن، والحكمة هي ما كان يذكره من كلامه، وهي سنته. فعلى المسلمين أن يتعلموا هذا وهذا.

---

(٥) سورة: آل عمران، آية: ١٦٤.

(٦) سورة: البقرة، آية: ٢٣١.

(٧) سورة: الأحزاب، آية: ٣٤.

وفي الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وغيره عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « ستكون فتنة. قلت: فما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم »[٨].

وقال الله تعالى في كتابه:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[٩].

وقال في كتابه:

﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾[١٠].

فذم الذين تفرقوا فصاروا أحزابا وشيعاً، وحمد الذين اتفقوا وساروا جميعاً معتصمين بحبل الله الذي هو كتابه شيعة واحدة للأنبياء.

كما قال تعالى:

﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾[١١] وإبراهيم هو إمام الأنبياء كما قال تعالى:

---

(٨) الحديث أخرجه الترمذي في ثواب القرآن باب ١٤. والدارمي في المسند، في كتاب فضائل القرآن باب ١. والإمام أحمد في المسند ٩١١١.

(٩) سورة: آل عمران، آية: ١٠٣.

(١٠) سورة: الأنعام، آية: ١٥٩.

(١١) سورة: الصافات، آية: ٨٣.

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (١٢).

وقال تعالى:

﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾ (١٣).

إلى أن قال:

﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (١٤).

وكان النبي ﷺ يعلم أمته أن يقولوا إذا أصبحوا: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين» (١٥).

وقال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، فلا ألفين رجلاً شبعان على أريكته يقول: بيننا وبينكم هذا القرآن، فما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» (١٦).

فهذا الحديث موافق لكتاب الله، فإن الله ذكر في كتابه أنه [ﷺ] (١٧)

---

(١٢) سورة: البقرة، آية: ١٢٤.

(١٣) سورة: النحل، آية: ١٢٠.

(١٤) سورة: النحل، آية: ١٢٣.

(١٥) أخرجه الدارمي في مسنده، كتاب الاستئذان باب ٥٤. والنسائي في سننه، كتاب السهو باب ٦٢. والإمام أحمد في المسند ٤/١، ٦٣؛ ٤٠٦/٣، ٤٠٧؛ ١٢٣/٥.

(١٦) أخرجه ابن ماجة في سننه، في المقدمة باب ٢. والترمذي في العلم باب ١٠. والإمام أحمد ١٣٢/٤.

(١٧) (١٨) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

يتلو الكتاب والحكمة، وهي التي أوتيها مع الكتاب.

وقد أمر في كتابه بالاعتصام بحبله جميعاً، ونهى عن التفريق والاختلاف، و[أمر][18] أن نكون شيعة واحدة، لا شيعاً متفرقين، وقال الله تعالى في كتابه:

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[19].

فجعل المؤمنين إخوة، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل مع وجود الاقتتال والبغي.

وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر»[20].

وقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[21] وشبك بين أصابعه.

فهذه أصول الإسلام التي هي الكتاب والحكمة، والاعتصام بحبل الله جميعاً [واجب] على أهل الإيمان للاستمساك بها.

---

(19) سورة: الحجرات، آية: 9، 10.

(20) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب 27. ومسلم في صحيحه في كتاب البر حديث 66، 67. والإمام أحمد في المسند 4/268، 270، 274، 276، 278، 375. وأورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم 8155 وعزاه إلى الإمام أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير، وأشار إلى صحته.

(21) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب 88، وفي كتاب الأدب باب 36، =

أهل البيت وخصائصهم

من هم أهل البيت؟

ولا ريب أن الله قد أوجب فيهم من حرمة خلفائه وأهل بيته والسابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان ما أوجب.

قال الله تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما﴾ (٢٢).

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة: أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي ﷺ كساءه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (٢٣).

وسنته تفسر كتاب الله وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه.

= وفي المظالم باب ٥. ومسلم في صحيحه في كتاب البر حديث ٦٥. والترمذي في البر باب ١٨. والنسائي في الزكاة باب ٦٧. والإمام أحمد في المسند ١٠٤/٤، ٤٠٥، ٤٠٩. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٩١٤٣ وأشار إلى صحته بعد عزوه للشيخين والترمذي والنسائي.

(٢٢) سورة: الأحزاب، آية: ٢٨.

(٢٣) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب باب ٦٠. والإمام أحمد في مسنده ٣٣١/١، ٢٥٩/٣، ٢٨٥؛ ٢٩٢/٦، ٢٩٨، ٣٠٤.

فلما قال: « هؤلاء أهل بيتي » مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر [٢٤].

والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم، كقول النبي ﷺ: « ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، وإنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يتفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس إلحافا » [٢٥].

بين بذلك: أن هذا مختص بكمال المسكنة، بخلاف الطواف فإنه لا تكمل فيه المسكنة، لوجود من يعطيه أحياناً، مع أنه مسكين أيضاً.

ويقال: هذا هو العالم، وهذا هو العدو، وهذا هو المسلم لمن كمل فيه ذلك وإن شاركه غيره في ذلك وكان دونه.

ونظير هذا [في] [٢٦] الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: « مسجدي هذا » يعني: مسجد المدينة. مع أن سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار:

﴿لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم

---

(٢٤) المصاهرة: هي القرابة الناشئة بسبب الزواج.

(٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة رقم ٢، وفي الزكاة باب ٥٣. وأبو داود في سننه في كتاب الزكاة باب ٢٤. والنسائي في سننه في كتاب الزكاة باب ٧٦. والدارمي في مسنده كتاب الزكاة باب ٢. ومالك في الموطأ في كتاب صفة النبي حديث ٧. والإمام أحمد في المسند ١/٣٨٤، ٤٤٦؛ ٢/٢٦٠، ٣١٦، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦٩. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٧٥٨٥ وعزاه إلى الشيخين وأبو داود والنسائي والإمام أحمد، وأشار إلى صحته.

(٢٦) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾ (٢٧) يقتضي أنه مسجد قباء.

فإنه قد تواتر أنه قال لأهل قباء: «ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به؟» فقالوا: لأننا نستنجي بالماء (٢٨)».

لكن مسجده أحق بأن يكون مؤسساً على التقوى من مسجد قباء، وإن كان كل منهما مؤسساً على التقوى، وهو أحق أن يقوم فيه من مسجد الضرار.

فقد ثبت عنه ﷺ: أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً، فكان يقوم في مسجده القيام الجامع يوم الجمعة، ثم يقوم بقباء يوم السبت (٢٩). وفي كل منهما قد قام في المسجد المؤسس على التقوى.

ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيرا، دعا النبي ﷺ أقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به، وهم: علي، وفاطمة رضي الله عنهما، وسيدي شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ، فكان من ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله، ليسبغها عليهم، ورحمة من الله وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم، إذ لو كان كذلك

---

(٢٧) سورة: التوبة، آية: ١٠٨.

(٢٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٢٢، ٦/٦. وابن ماجة في سننه في كتاب الطهارة باب ٢٨.

(٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في فضل الصلاة في مسجد مكة باب ٣، ٦، وفي الاعتصام باب ١٦. ومسلم في صحيحه في كتاب الحج حديث ٥١٥، ٥١٩، ٥٢١. وأبو داود في سننه في كتاب المناسك باب ٩٥. والنسائي في سننه في كتاب المساجد باب ٩. ومالك في الموطأ كتاب السفر حديث ٧١. والإمام أحمد في المسند ٢/٥، ٣٠، ٥٧، ٥٨، ٦٥، ٧٢، ٨٠، ١٠١، ١٠٨، ١٥٥.

لاستغنوا بها عن دعاء النبي ﷺ، كان يظن من يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له، وهدايته إياه.

وقد ثبت أيضاً بالنقل الصحيح: أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي ﷺ على أزواجه، وخيرهن كما أمره الله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ولذلك أقرهن، ولم يطلقهن، حتى مات عنهن. ولو أردن الحياة الدنيا وزينتها لكان يمتعهن ويسرحهن كما أمره الله تعالى، فإنه ﷺ أخشى الأمة لربه وأعلمهم بحدوده.

ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة للأجور والوزر بلغنا عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال: «إني لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل على المسيء منا وزرين».

وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى «خم» بين مكة والمدينة فقال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». قيل لزيد بن أرقم: ومن أهل بيته؟ قال: الذين حرموا الصدقة: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس. قيل لزيد: أكل هؤلاء أهل بيته؟ قال: نعم(٣٠).

وقد ثبت عن النبي ﷺ من وجوه صحاح أن الله لما أنزل عليه:

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

سأل الصحابة: كيف يصلون عليه، فقال: «قولوا: اللهم صلي على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(٣٠) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح. والدارمي في فضائل القرآن باب ١. والإمام أحمد في المسند ١١٤/٢؛ ٣٦٧/٤. والترمذي. والنسائي. والحاكم في المستدرك. وهو حديث صحيح.

وفي حديث صحيح: « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[٣١].

ما لهم وما عليهم:

وثبت عنه أن ابنه الحسن لما تناول تمرة من تمر الصدقة قال [له][٣٢]: « كخ، كخ أما علمت أنا آل بيت لا تحل لنا الصدقة »؟[٣٣].

وقال: « إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[٣٤].

وهذا ـ والله أعلم ـ من التطهير الذي شرعه الله لهم، فإن الصدقة أوساخ الناس، فطهرهم الله من الأوساخ، وعوضهم بما يقيتهم من خمس الغنائم، ومن الفيء الذي جعل منه رزق محمد حيث قال ﷺ فيما رواه أحمد وغيره: « بعثت بالسيف بين يدى الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه

---

(٣١) أخرجه البخاري في صحيحه في تفسير سورة رقم ٣٣، وفي كتاب الأنبياء باب ١٠، وفي الدعوات باب ٣١، ٣٢. ومسلم في الصحيح في كتاب الصلاة حديث ٦٥، ٦٦، ٦٩. والترمذي في تفسير سورة رقم ٣٣، وفي الوتر باب ٢. وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب ١٧٩. والنسائي في السنن من كتاب السهو باب ٤٩، ٥٠ ـ ٥٤. والدارمي في المسند في كتاب الصلاة باب ٨٥. ومالك في الموطأ كتاب السفر حديث رقم ٦٦، ٦٧. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١/١٦٢؛ ٣/٤٧؛ ٤/١١٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٢٤، ٥/٢٧٤، ٣٧٤، ٤٢٤، ٢٤٣، ٢٤٤؛ ٥/٢٧٤، ٣٧٤، ٤٢٤.
وآية الحديث: سورة الأحزاب آية: ٥٦.

(٣٢) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

(٣٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب ٦٠، وفي الجهاد باب ١٨٨. والدارمي في المسند في كتاب الزكاة باب ١٦. والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢/٤٠٩، ٤٤٤، ٤٧٦. وأورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٦٢٢٦ عزاه للشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٤) الحديث أخرجه الدارمي في المسند كتاب الزكاة باب ١٦. والنسائي في سننه في كتاب الزكاة باب ٩٨ في الترجمة. ومالك في الموطأ في كتاب الصدقة حديث ١٣. والإمام أحمد ابن حنبل في المسند ٢/٢٧٩.

بقوم فهو منهم »[٣٥].

ولهذا ينبغي أن يكون اهتمامهم بكفاية أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة أكثر من اهتمامهم بكفاية الآخرين من الصدقة، لاسيا إذا تعذر أخذهم من الخمس والفيء، إما لقلة ذلك، وإما لظلم من يستولي على حقوقهم، فيمنعهم إياها من ولاة الظلم، فيعطون من الصدقة المفروضة ما يكفيهم إذا لم تحصل كفايتهم من الخمس والفيء.

صفات أهل الفيء:

وعلى الآخذين من الفيء من ذوي القربى وغيرهم أن يتصفوا بما وصف الله به أهل الفيء في كتابه حيث قال:

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى وابن السبيل﴾[٣٦] الآيات.

فجعل أهل الفيء ثلاثة أصناف: المهاجرين، والأنصار، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

وذلك أن الفيء إنما حصل بجهاد المهاجرين والانصار وإيمانهم وهجرتهم ونصرتهم، فالمتأخرون إنما يتناولونه مخلفا عن أولئك، مشبها بتناول الوارث ميراث أبيه، فإن لم يكن مواليا له لم يستحق الميراث « فلا يرث المسلم

---

(٣٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢/٥٠، ٩٢ والبخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب ٨٨ تعليقاً. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٣١٥٢ وعزاه إلى الإمام أحمد والطبراني وعبد الرزاق عن ابن عمر رضي الله عنه. وعزاه المناوي في شرح الجامع الصغير إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد.

(٣٦) سورة: الحشر، آية: ٧.

الكافر »[٣٧].

فمن لم يستغفر لأولئك بل كان مبغضا لهم خرج عن الوصف الذي وصف الله به أهل الفيء، حتى يكون قلبه مسلما لهم، ولسانه داعياً لهم، ولو فرض أنه صدر من واحد منهم ذنب محقق فإن الله يغفره له بحسناته العظيمة، أو بتوبة تصدر منه، أو يبتليه ببلاء يكفر به سيئاته، أو يقبل فيه شفاعة نبيه وإخوانه المؤمنين، أو يدعو الله بدعاء يستجيبه له.

سب الصحابة ... حرام على آل البيت وغيرهم:

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحاح من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن حاطب بن أبي بلتعة كاتب كفار مكة لما أراد النبي ﷺ أن يغزوهم غزوة الفتح، فبعث إليهم امرأة معها كتاب يخبرهم فيه بذلك، فجاء الوحي إلى النبي ﷺ بذلك: فبعث عليا والزبير فأحضرا الكتاب، فقال: « ما هذا يا حاطب »؟ فقال: والله يا رسول الله ما فعلت ذلك أذى ولا كفرا، ولكن كنت امرءاً ملصقا من قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من أصحابك لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأردت أن أتخذ عندهم يداً أحمي بها قرابتي، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: « إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله تعالى في ذلك:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ الآيات[٣٨].

---

(٣٧) لانقطاع الموالاة بينهما. لحديث أسامة بن زيد الذي أخرجه الإمام أحمد ٢٠١/٥، ٢٠٢، ٢٠٩، والبخاري ومسلم والأربعة. وقال السيوطي: حديث صحيح.

(٣٨) سورة: الممتحنة، آية: ١.

وثبت في صحيح مسلم أن غلام حاطب هذا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار، وكان حاطب يسيء إلى مماليكه. فقال النبي ﷺ: «كذبت، إنه قد شهد بدرا والحديبية». وقال ﷺ: «لا يدخل النار واحد بايع تحت الشجرة»(٣٩).

فهذا حاطب قد تجسس على رسول الله ﷺ في غزوة فتح مكة التي كان ﷺ يكتمها عن عدوه، وكتمها عن أصحابه، وهذا من الذنوب الشديدة جدا، وكان يسيء إلى مماليكه.

وفي الحديث المرفوع. «لن يدخل الجنة سيء الملكة»(٤٠).

ثم مع هذا لما شهد بدرا والحديبية غفر الله له ورضي عنه، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

فكيف بالذين هم أفضل من حاطب وأعظم إيمانا وعلما وهجرة وجهارا، فلم يذنب أحد قريبا من ذنوبه؟!

ثم إن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه روى هذا الحديث في خلافته، ورواه عنه كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، وأخبر فيه أنه هو والزبير ذهبا لطلب الكتاب من المرأة الظعينة، وأن النبي ﷺ شهد لأهل بدر بما شهد، مع علم أمير المؤمنين بما جرى، ليكف القلوب والألسنة عن أن تتكلم فيهم إلا بالحسنى، فلم يأت أحد منهم بأشد مما جاء به حاطب، بل كانوا في غالب ما يأتون به مجتهدين.

وقد قال النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد

---

(٣٩) وأخرجه أيضاً الترمذي في المناقب باب ٥٧، ٥٨. وغيرهما.

(٤٠) أخرجه ابن ماجة في سننه في الأدب باب ١٠. والإمام أحمد بن حنبل في المسند ١/٤، ٧، ١٢.

فأخطأ فله أجر »[٤١] وهذا حديث صحيح مشهور.

وثبت عنه أيضاً أنه لما كان في غزوة الأحزاب فرد الله الأحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا، وأمر نبيه بقصد بني قريظة قال لأصحابه: « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة ».

فأدركتهم الصلاة في الطريق، فمنهم قوم قالوا: لا نصليها إلا في بني قريظة، ومنهم قوم قالوا: لم يرد منا تفويت الصلاة، إنما أراد المسارعة، فصلوا في الطريق. فلم يعنف النبي ﷺ واحدة من الطائفتين.

وكانت سنة رسول الله ﷺ هذه موافقة لما ذكره الله تعالى في كتابه حيث قال:

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾[٤٢].

فأخبر سبحانه وتعالى أنه خص أحد النبيين بفهم الحكم في تلك القضية، وأثنى على كل منهما بما آتاه من العلم والحكم.

فهكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه [كانوا][٤٣] فيما تنازعوا فيه مجتهدين طالبين للحق.

---

(٤١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في الاعتصام باب ٢٠، ٢١ ومسلم في الأقضية حديث رقم ١٥. وأبو داود في سننه في الأقضية باب ٢. والنسائي في سننه في كتاب الأحكام باب ٢، وفي القضاة باب ٣. والإمام أحمد في المسند ٤/١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥.

(٤٢) سورة: الأنبياء، آية: ٧٨.

(٤٣) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

جهل الشيعة بمذهب الإمام علي

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة »[٤٤] .

وروى عنه مولاه سفينة أنه قال: « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكا »[٤٥] ، فكان آخر الثلاثين حين سلم سبط رسول الله ﷺ : الحسن بن علي رضي الله عنهما الأمر إلى معاوية.

وكان معاوية أول الملوك، وفيه ملك ورحمة، كما روي في الحديث: « ستكون خلافة نبوة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم يكون ملك وجبرية، ثم يكون ملك عضوض »[٤٦] .

وقد ثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من وجوه أنه لما قاتل أهل الجمل لم يسب لهم ذرية، ولم يغنم لهم مالا ، ولا أجهز على جريح، ولا اتبع مدبرا ، ولا قتل أسيرا ، وأنه صلى على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين، وقال: « إخواننا بغوا علينا » .

---

(٤٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب ٥ . والترمذي في العلم باب ١٦ . وابن ماجة في سننه في المقدمة باب ٢ . والدارمي في مسنده في المقدمة باب ١٦ . والإمام أحمد في مسنده ١٢٦/٤ ، ١٢٧ .

(٤٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٢٠/٥ ، ٢٢١ .

(٤٦) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب ٨ . والترمذي في الفتن باب ٤٨ . والإمام أحمد ٢٧٣/٤ ؛ ٤٤/٥ ، ٥٠ ، ٤٠٤ .

وأخبر أنهم ليسوا بكفار ولا منافقين، واتبع فيما قاله كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن الله سماهم إخوة، وجعلهم مؤمنين في الاقتتال والبغي كما ذكر في قوله:

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ (٤٧).

وثبت عن النبي ﷺ في الصحاح أنه قال: تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » (٤٨).

وهذه المارقة هم أهل حروراء، الذين قلتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه لما مرقوا عن الإسلام، وخرجوا عليه، فكفروه، وكفروا سائر المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ من طرق متواترة أنه وصفهم وأمر بقتالهم، فقال: « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقرآنه مع قرآنهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ولو يعلم الذين يقتلونهم ما لهم على لسان محمد ﷺ لنكلوا عن العمل » (٤٩).

---

(٤٧) سورة: الحجرات، آية: ٩.

(٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة حديث ١٥٠، ١٥٢. وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب ١٢. وأحمد في المسند ٣/٣٢، ٤٨.

(٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب ٢، وفي المناقب باب ٢٥، والمغازي باب ٦١، وفضائل القرآن باب ٣٦، والأدب باب ٩٥، وفي التوحيد باب ٢٣، ٥٧، وفي الاستتابة باب ٩٥. ومسلم في كتاب الزكاة حديث رقم ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩. وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب ٢٨. والترمذي في الفتن باب ٢٤. والنسائي في سننه في كتاب الزكاة باب ٧٩، وفي كتاب التحريم باب ٢٦. وابن ماجة في المقدمة باب ١٢. والدارمي في المسند من المقدمة باب ٢١. ومالك في الموطأ في مس القرآن حديث ١٠. والإمام أحمد في المسند ١/٨٨، ٩٢، ١٣١، ١٤٧، ١٥١، ١٥٦، ١٦٠، ٢٥٦، ٤٠٤؛ ٣/٥، ١٥، ٣٣، ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٦٤، ٦٥،

فقتلهم علي رضي الله عنه وأصحابه، وسر أمير المؤمنين بقتلهم سرورا شديدا وسجد لله شكرا، لما ظهر فيهم علامتهم وهو المخدج اليد، الذي على يده مثل البضعة من اللحم، عليها شعرات، فاتفق جميع الصحابة على استحلال قتالهم، وندم كثير منهم كابن عمر وغيره على ألا يكونوا شهدوا قتالهم مع أمير المؤمنين، بخلاف ما جرى في وقعة الجمل وصفين، فإن أمير المؤمنين كان متوجعا لذلك القتال، متشكيا مما جرى، يتراجع هو وابنه الحسن القول فيه، ويذكر له الحسن أن رأيه ألا يفعله.

فلا يستوي ما سر قلب أمير المؤمنين وأصحابه وغبطه به من لم يشهده، مع ما تواتر عن النبي ﷺ، وساء قلب أفضل أهل بيته، حب النبي ﷺ، الذي قال فيه: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه».

وإن كان أمير المؤمنين هو أولى بالحق ممن قاتله في جميع حروبه.

ولا يستوي القتلى الذين صلى عليهم وسماهم إخواننا، والقتلى الذين لم يصل عليهم، بل قيل له: من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟ فقال: هم أهل حروراء.

فهذا الفرق بين أهل حروراء وبين غيرهم الذي سماه أمير المؤمنين في خلافته بقوله وفعله موافقا فيه لكتاب الله وسنة نبيه هو الصواب الذي لا معدل عنه لمن هدى رشده، وإن كان كثير من علماء السلف والخلف لا يهتدون لهذا الفرقان، بل يجعلون السيرة في الجميع واحدة.

فإما أن يقصروا بالخوارج عما يستحقونه من البغض واللعنة والعقوبة والقتل، وإما أن يزيدوا على غيرهم ما يستحقونه من ذلك.

٦٨، ٧٣، ١٥٩، ١٨٣، ١٨٩، ٢٢٤، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٤٨٦؛ ٤/١٤٥، ٤٢٢، ٤٢٥؛ ٥/٤٢، ١٧٦.

عوامل الضلال

وسبب ذلك قلة العلم والفهم لكتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين، وإلا فمن استهدى الله واستعانه، وبحث عن ذلك، وطلب الصحيح من المنقول، وتدبر كتاب الله، وسنة نبيه، وسنة خلفائه، لا سيما سيرة أمير المؤمنين الهادي المهدي التي جرى فيها ما اشتبه على خلق كثير فضلوا بسبب ذلك، إما غلوا فيه، وإما جفاء عنه.

كما روي عنه قال: «يهلك فيَّ رجلان: محب غال يقرظني بما ليس فيَّ، ومبغض قالٍ يرميني بما نزهني الله منه» (٥٠).

وحد ذلك وملاك ذلك شيئان:

طلب الهدى، ومجانبة الهوى، حتى لا يكون الإنسان ضالاً وغاوياً، بل مهتدياً راشداً.

قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ:

﴿والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ (٥١).

فوصفه بانه ليس بضال، وهو الجاهل، ولا غاو، وهو الظالم، فإن صلاح العبد في أنه يعلم الحق ويعمل به، فمن لم يعلم الحق فهو ضال عنه. ومن علمه فخالفه واتبع هواه فهو غاو، ومن علمه وعمل به كان من أولي الأيدي عملا، ومن أولي الأبصار علما، وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سبحانه

---

(٥٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/١٦٠. (٥١) سورة: النجم، آية: ٣.

في كل صلاة أن نقول:

﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [٥٢].

فالمغضوب عليهم: الذين يعرفون الحق ولا يتبعونه كاليهود، والضالون: الذين يعملون أعمال القلوب والجوارح بلا علم كالنصارى. ولهذا وصف الله اليهود بالغواية في قوله تعالى:

﴿سأصرف عن آياتي الذيت يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾ [٥٣].

ووصف العالم الذي لم يعمل بعلمه بذلك في قوله تعالى:

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ [٥٤].

ووصف النصارى بالضلال في قوله تعالى:

﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [٥٥].

ووصف بذلك من يتبع هواه بغير علم حيث قال:

﴿وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ [٥٦].

---

(٥٢) سورة: الفاتحة، آية: ٦، ٧.
(٥٣) سورة: الأعراف، آية: ١٤٦.
(٥٤) سورة: الأعراف، آية: ١٧٥.
(٥٥) سورة: المائدة، آية: ٧٧.
(٥٦) سورة: الأنعام، آية: ١١٩.

وقال:

﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [٥٧].

وأخبر أن من اتبع هداه المنزل فإنه لا يضل كما ضل الضالون، ولا يشقى كما شقي المغضوب عليهم فقال:

﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ [٥٨]

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

ومن تمام الهداية: أن ينظر المستهدي في كتاب الله، وفيما تواتر من سنة نبيه، وسنة الخلفاء، وما نقله الثقات الأثبات، ويميز بين ذلك وبين ما نقله من لا يحفظ الحديث، أو يتهم فيه بكذب لغرض من الأغراض، فإنه المحدث بالباطل إما أن يتعمد الكذب، أو يكذب خطأ لسوء حفظه أو نسيانه، أو لقلة فهمه وضبطه.

ثم إذا حصلت [للمستهدي] [٥٩] المعرفة بذلك تدبر ذلك، وجمع بين المتفق منه، وتدبر المختلف فيه، حتى يتبين له أنه متفق في الحقيقة وإن كان الظاهر مختلفاً، أو أن بعضه راجح يجب اتباعه، والآخر مرجوح ليس بدليل في الحقيقة، وإن كان في الظاهر دليلاً.

أما غلط الناس فلعدم التمييز بين ما يعقل من النصوص والآثار، أو يعقل بمجرد القياس والاعتبار، ثم إذا خالط الظن الغلط في العلم هوى النفوس ومناها في العمل صار لصاحبها نصيب من قوله تعالى:

---

(٥٧) سورة: القصص، آية: ٥٠.

(٥٨) سورة: طه، آية: ١٢٣.

(٥٩) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (٦٠).

وهذا سبب ما خلق الإنسان عليه من الجهل في نوع العلم، والظلم في نوع العمل، فبجهله يتبع الظن، وبظلمه يتبع ما تهوى الأنفس. ولما بعث الله رسله وأنزل كتبه، لهدى الناس وإرشادهم، صار أشدهم اتباعاً للرسل أبعدهم عن ذلك، كما قال تعالى:

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (٦١).

ولهذا صار ما وصف الله به الإنسان لا يخص غير المسلمين دونهم، ولا يخص طائفة من الأمة، لكن غير المسلمين أصابهم ذلك في أصول الإيمان التي صار جهلهم وظلمهم فيها كفراناً وخسراناً مبينا، ولذلك من ابتدع في أصول الدين بدعة جليلة أصابه من ذلك أشد مما يصيب من أخطأ في أمر دقيق أو أذنب فيه، والنفوس لهجة بمعرفة محاسنها، ومساوىء غيرها.

وأما العالم العادل فلا يقول إلا الحق، ولا يتبع إلا إياه، ولهذا من يتبع المنقول الثابت عن النبي ﷺ، وخلفائه، واصحابه وأئمة أهل بيته، مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق شيخ علماء الأمة، ومثل: أنس بن مالك، والثوري، وطبقتهما، وجد ذلك جميعه متفقا مجتمعا في أصول دينهم، وجماع شرائعهم، ووجد في ذلك ما يشغله وما يغنيه عما أحدثه كثير من المتأخرين من أنواع المقالات التي تخالف ما كان عليه أولئك

(٦٠) سورة: النجم، آية: ٢٣.
(١) سورة: البقرة، آية، ٢١٣.

السلف [وهؤلاء المتأخرون][62] ممن ينتصب لعداوة آل بيت رسول الله ﷺ، ويبخسهم حقوقهم، ويؤذيهم، أو ممن يغلوا فيهم غير الحق، ويفتري عليهم الكذب، ويبخس السابقين والطائعين حقوقهم، ورأى أن في المأثور عن أولئك السلف في باب التوحيد والصفات، وباب العدل والقدر، وباب الإيمان والأسماء والأحكام، وباب الوعيد والثواب، والعذاب، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يتصل به من حكم الأمراء أبرارهم وفجارهم، وحكم الرعية معهم، والكلام في الصحابة والقرابة ما يبين لكل عاقل عادل أن السلف المذكورين لم يكن بينهم من النزاع في هذه الأبواب إلا من جنس النزاع الذي أقرهم عليه الكتاب والسنة كما تقدم ذكره، وأن البدع الغليظة المخالفة للكتاب والسنة، واتفاق أولي الأمر الهداة المهتدين إنما حدثت من الأخلاف، وقد يعزون بعض ذلك إلى بعض الأسلاف، تارة بنقل غير ثابت، وتارة بتأويل لشيء من كلامهم متشابه.

ثم إن من رحمة الله قل أن ينقل عنهم شيء من ذلك إلا وفي النقول الصحيحة الثابتة عنهم للقول المحكم الصريح ما يبين غلط الغالطين عليهم في النقل أو التأويل، وهذا لأن الصراط المستقيم في كل الأمة بمنزلة الصراط في الملك، فكمال الإسلام هو الوسط في الأديان والملك، كما قال تعالى:

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[63].

لم ينحرفوا انحراف اليهود والنصارى والصابئين.

فكذلك أهل الاستقامة، ولزوم سنة رسول الله ﷺ، وما عليه السلف، تمسكوا بالوسط، ولم ينحرفوا إلى الاطلاق.

فاليهود مثلا جفوا في الأنبياء والصديقين حتى قتلوهم وكذبوهم، كما قال الله تعالى:

---

(62) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل. (63) سورة: البقرة، آية: 143.

﴿فريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ [٦٤].

والنصارى غلوا فيهم حتى عبدوهم كما قال تعالى:

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ [٦٥].

واليهود انحرفوا في النسخ حتى زعموا أنه لا يقع من الله أو لا يجوز عليه، كما ذكر الله عنهم إنكاره في القرآن حيث قال:

﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ [٦٦].

والنصارى قابلوهم، فجوزوا للقسيسين والرهبان أن يوجبوا ما شاءوا، ويحرموا ما شاءوا، وكذلك تقابلهم في سائر الأمور.

فهدى الله المؤمنين إلى الوسط، فاعتقدوا في الأنبياء ما يستحقونه، ووقروهم، وعزروهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، واتبعوهم، ولم يردوهم كما فعلت اليهود، ولا أطروهم ولا غلوا فيهم فنزلوهم منزلة الربوبية كما فعلت النصارى.

وكذلك في النسخ، جوزوا أن ينسخ الله، ولم يجوزوا لغيره أن ينسخ، فإن الله له الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره.

وهكذا أهل الاستقامة في الإسلام المعتصمون بالحكمة النبوية، والعصبة الجماعية، متوسطون في باب التوحيد والصفات بين النفاة المعطلة وبين الشبهة الممثلة.

وفي باب القدر والعدل والأفعال بين القدرية والجبرية والقدرية المجوسية.

وفي باب الأسماء والأحكام بين من أخرج أهل المعاصي من الإيمان بالكلية

---

(٦٤) سورة: البقرة، آية: ٨٧.

(٦٥) سورة: النساء، آية: ١٧١.

(٦٦) سورة: البقرة، آية: ١٤٢.

كالخوارج وأهل المنـزلـة، وبين مـن جعـل إيمان الفسـاق كـإيمان الانبيـاء والصديقين كالمرجئة والجهمية.

وفي باب الوعيد والثواب والعقاب بين الوعيد بين الذين لا يقولون بشفاعة نبينا لأهل الكبائر، وبين المرجئة الذين لا يقولون بنفوذ الوعيد.

وفي باب الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بين الذين يوافقون الولاة على الإثم والعدوان، ويركنون إلى الذين ظلموا، وبين الذين لا يرون أن يعاونوا أحدا على البر والتقوى، لا على جهاد ولا جمعة ولا أعياد إلا أن يكون معصوماً، ولا يدخلوا فيما أمر الله به ورسوله إلا في طاعة من لا وجود له.

فالأولون يدخلون في المحرمـات، وهـؤلاء يتركـون واجبـات الديـن، وشرائع الاسلام، وغلاتهم يتركونها لأجل موافقة من يظنونه ظالما، وقد يكون كاملا في علمه وعدله.

أهل الاستقامة... عند المصيبة

وأهل الاستقامة والاعتدال يطيعون الله ورسوله بحسب الإمكان، فيتقون الله ما استطاعوا، وإذا أمرهم الرسول بأمر أتوا منه ما استطاعوا، ولا يتركون ما أمروا به لفعل غيرهم ما نهى عنه، بل كما قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ (٦٧).

ولا يعاونون أحدا على معصية، ولا يزيلون المنكر بما هو أنكر منه، ولا يأمرون بالمعروف إلا بالمعروف، فهم وسط في عامة الأمور، ولهذا وصفهم النبي ﷺ بأنهم الطائفة الناجية لما ذكر اختلاف أمته وافتراقهم.

ومن ذلك أن اليوم الذي هو يوم عاشوراء الذي أكرم الله فيه سبط نبيه، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدي من قتله من الفجرة الاشقياء، وكان ذلك مصيبة عظيمة من أعظم المصائب الواقعة في الإسلام.

وقد روى الإمام أحمد وغيره عن فاطمة بنت الحسين وقد كانت قد شهدت مصرع أبيها، عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهم، عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعا إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها» (٦٨).

فقد علم الله أن مثل هذه المصيبة العظيمة سيتجدد ذكرها مع تقادم

---

(٦٧) سورة: المائدة، آية: ١٠٥.

(٦٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٠١. وابن ماجة في السنن في الجنائز باب ٥٥.

العهد، فكان من محاسن الإسلام أن روى هذا الحديث صاحب المصيبة والمصاب به أولا ولا ريب أن ذلك إنما فعله الله كرامة للحسين رضي الله عنه، ورفعا لدرجته ومنزلته عند الله، وتبليغا له منازل الشهداء، وإلحاقا له بأهل بيته الذين ابتلوا بأصناف البلاء، ولم يكن الحسن والحسين حصل لهما من الابتلاء ما حصل لجدهما ولأمهما وعمهما؛ لأنهما ولدا في عز الإسلام، وتربيا في حجور المؤمنين، فأتم الله نعمته عليهما بالشهادة، أحدهما مسموما، والآخر مقتولا؛ لأن الله عنده من المنازل العالية في دار كرامته ما لا ينالها إلا أهل البلاء كما قال النبي ﷺ وقد سئل: أي الناس أشد بلاء؟ فقال: «الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة»[٦٩].

وشقي بقتله من أعان عليه، أو رضي به، فالذي شرعه الله للمؤمنين عند الإصابة بالمصائب وإن عظمت أن يقولوا:

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[٧٠].

وقد روى الشافعي في مسنده أن النبي ﷺ لما مات، وأصاب أهل بيته من المصيبة ما أصابهم، سمعوا قائلاً يقول: «يا آل بيت رسول الله، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب...».

فكانوا يرونه الخضر جاء يعزيهم بالنبي ﷺ.

---

(٦٩) الحديث أخرجه الترمذي في الزهد باب ٥٧. وابن ماجة في سننه في الفتن باب ٢٣. والدارمي في مسنده في كتاب الرقاق باب ٦٧. والإمام أحمد في المسند ١/١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥.

(٧٠) سورة: البقرة، آية: ١٥٦.

فأما اتخاذ المآتم في المصائب، واتخاذ أوقاتها مآتم، فليس من دين الإسلام، وهو أمر لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا أحد من السابقين الأولين، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من قادة أهل البيت، ولا غيرهم.

وقد شهد مقتل عليٍّ أهل بيته، وشهد مقتل الحسين من شهده من أهل بيته، وقد مرت على ذلك سنون كثيرة، وهم متمسكون بسنة رسول الله ﷺ، لا يحدثون مأتماً، ولا نياحة، بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسوله، أو يفعلون ما لا بأس به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة.

قال النبي ﷺ: « ما كان من العين والقلب فمن الله، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان »[٧١].

وقال: « ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية »[٧٢]. يعني: مثل قول المصاب « يا سنداه، يا ناصراه، يا عضداه ».

وقال: « إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعاً من جرب، وسربالاً من قطران »[٧٣].

وقال: « لعن الله النائحة والمستمعة إليها »[٧٤].

---

(٧١) أخرج أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « ما كان من حزن في قلب أو عين فهو من قبل الرحمة وما كان من حزن يد أو لسان فهو من قبل الشيطان » أنظر جمع الجوامع للسيوطي ٧٠٩/١.

(٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز باب ٣٦، ٣٨، ٣٩، وفي المناقب باب ٨. ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان حديث ١٦٥. والترمذي في كتاب الجنائز باب ٢٢. وابن ماجة في سننه باب الجنائز باب ٥٢. والإمام أحمد في مسنده ٣٨٦/١، ٤٣٢، ٤٥٦، ٤٤٢، ٤٦٥؛ ١٣١/٤.

(٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز حديث رقم ٢٩. وابن ماجة في سننه في الجنائز باب ٥١. والإمام أحمد في المسند ٣٤٢/٥، ٣٤٣، ٣٤٤.

(٧٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز باب ٢٥. والإمام أحمد في المسند ٦٥/٣.

وقد قال في تنزيله:

﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفرلهن الله إن الله تواب رحيم﴾ (٧٥).

وقد فسر النبي ﷺ قوله: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ بأنها النياحة.

وتبرأ النبي ﷺ من الحالقة والصالقة.

[والحالقة] (٧٦): التي تحلق شعرها عند المصيبة.

والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة.

وقال جرير بن عبد الله: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعتهم الطعام للناس من النياحة.

وإنما السنة أن يصنع لأهل الميت طعام، لأن مصيبتهم تشغلهم.

كما قال النبي ﷺ لما نعى جعفر بن أبي طالب لما استشهد بمؤتة فقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم» (٧٧).

وهكذا ما يفعل قوم آخرون يوم عاشوراء من الاكتحال والاختضاب، أو المصافحة، والاغتسال، فهو بدعة أيضاً لا أصل لها، ولم يذكرها أحد من الأئمة المشهورين.

وإنما روي فيها حديث: «من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض تلك السنة، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام». ونحو ذلك.

---

(٧٥) سورة: الممتحنة، آية: ١٢.

(٧٦) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

(٧٧) الحديث أخرجه الترمذي في الجنائز باب ٢١. وابن ماجة في الجنائز باب ٥٩.

ولكن الذي ثبت عن النبي ﷺ: أنه صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه وقال: «صومه يكفر سنة»[٧٨].

وقرر النبي ﷺ أن الله أنجى فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، وروى أنه كان فيه حوادث الأمم... فمن كرامة الحسين أن الله جعل استشهاده فيه.

وقد يجمع الله في الوقت شخصاً أو نوعاً من النعمة التي توجب شكراً، أو المحنة التي توجب صبراً.

كما أن سابع عشر شهر رمضان فيه كانت وقعة بدر، وفيه مقتل علي....

وأبلغ من ذلك: أن يوم الإثنين في ربيع الأول فيه مولد النبي ﷺ، وفيه هجرته، وفيه وفاته.

والعبد المؤمن يبتلى بالحسنات التي تسره، والسيئات التي تسوءه في الوقت الواحد، ليكون صبارا شكورا، فكيف إذا وقع مثل ذلك في وقتين متعددين من نوع واحد.

ويستحب صوم التاسع والعاشر، ولا يستحب الكحل، والذين يصنعونه من الكحل من أهل الدين لا يقصدون به مناصبة أهل البيت وإن كانوا مخطئين في فعلهم، ومن قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره، أو فرح، أو استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقد قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي»[٧٩] لما شكى إليه العباس أن بعض قريش يجفون بني هاشم.

---

(٧٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٩٥/٥ - ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٧.

(٧٩) أنظر الحديث في: مسند الإمام أحمد، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، والمستدرك للحاكم ٧٥/٤، وسنن ابن ماجة. مع اختلاف في الألفاظ. قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح».

وقال: « إن الله اصطفى قريشاً من بني كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم »[٨٠].

وروي أنه قال: « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي »[٨١].

وهذا باب واسع يطول القول فيه.

---

(٨٠) أول الحديث: « إن الله تعالى اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً »...
أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل حديث رقم ١. والترمذي في المناقب باب ١. والإمام أحمد في المسند ١٠٧/٤. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ١٦٨٣ وعزاه إلى الترمذي عن واثلة بن الأسقع، وصححه. وقال الترمذي: « حديث صحيح ».

(٨١) أخرجه الترمذي في المناقب، والحاكم في مستدركه في فضائل أهل البيت، وصححه كل منهما، وأقره الذهبي في التلخيص. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٢٢٤ وعزاه إلى الترمذي والحاكم، ورمز له بالصحة.

بدع وضلالات

وكان سبب هذه المواصلة أن بعض الإخوان قدم بورقة فيها ذكر النبي ﷺ ، وذكر سادة أهل البيت ، وقد أجرى فيها ذكر النذور لمشهد المنتظر ، فخوطب من فضائل أهل البيت وحقوقهم بما سر قلبه ، وشرح صدره ، وكان ما ذكر بعض الواجب ، فإن الكلام في هذا طويل ، ولم يحتمل هذا الحامل أكثر من ذلك.

وخوطب فيما يتعلق بالأنساب والنذور بما يجب في دين الله ، فسأل المكاتبة بذلك إلى من يذهب إليه من الإخوان ، فإن النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٨٢) .

أما ورقة الأنساب والتواريخ ففيها غلط في مواضع متعددة ، مثل : ذكر أن النبي ﷺ توفي في صفر ، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عمرو ابن العلاء بن هاشم ، وأن جعفر الصادق توفي في خلافة الرشيد ، وغير ذلك.

فإنه لا خلاف بين أهل العلم أن النبي ﷺ توفي في شهر ربيع الأول ، شهر مولده وشهر هجرته ، وأنه توفي يوم الاثنين ، وفيه ولد ، وفيه أنزل عليه ، وجده هاشم بن عبد مناف ، وإنما كان هاشم يسمى عمر ، ويقال له :

---

(٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب ٤٢ ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان حديث ٩٥ . وأبو داود في السنن في كتاب الأدب باب ٥٩ . والترمذي في البر باب ١٧ . والنسائي في البيعة باب ٣١ ، و ٤١ . والدارمي في المسند كتاب الرقاق باب ٤١ . والإمام أحمد في المسند ١/٣٥١ ؛ ٢/٢٩٧ ؛ ٤/١٠٢ ، ١٠٣ .

عمرو العلا، كما قال الشاعر:

عمـــر العـــلا هشـــم الثريـــد لقـــومـــه
ورجـــال مكـــة مســـنتون عجـــاف

وأن جعفراً أبا عبد الله توفي في سنة ثمان وأربعين في إمارة أبي جعفر المنصور.

وأما المنتظر فقد ذكر طائفة من أهل العلم بأنساب أهل البيت: أن الحسن ابن علي العسكري لما توفي بعسكر سامراء ولم يعقب ولم ينسل، وقال من أثبتـه: إن أباه لما توفي سنة ستين ومائتين كان عمره سنتين أو أكثر من ذلك بقليل، وإنه غاب من ذلك الوقت، وإنه من ذلك الوقت حجة الله على أهل الأرض، لا يتم الإيمان إلا به، وإنه هو المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ، وإنه يعلم كل ما يفتقر إليه في الدين.

وهذا موضع ينبغي للمسلم أن يتثبت فيه، ويستهدي الله ويستعينه، فإن الله قد حرم القول بغير علم، وذكر أن ذلك من خطوات الشيطان وحرم القول المخالف للحق، ونصوص التنزيل شاهدة بذلك، ونهى عن اتباع الهوى.

فأما المهدي الذي بشر به النبي ﷺ فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبي ﷺ، الحافظون لها، الباحثون عنها وعن رواتها، مثل أبي داود، والترمذي، وغيرهما، ورواه الإمام أحمد في مسنده.

فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي، يوطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً

وجوراً »[٨٣].

وروي هذا المعنى من حديث أم سلمة وغيرها.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: « المهدي من ولد ابني هذا ». وأشار إلى الحسن[٨٤].

وقال ﷺ: « يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثواً »[٨٥]. وهو حديث صحيح.

فقد أخبر النبي ﷺ أنه اسمه محمد بن عبد الله، ليس محمد بن الحسن. ومن قال: إن أبا جده الحسين، وأن كنيته الحسين أبو عبد الله فقد جعل الكنية اسمه، فما يخفى على من يخشى الله أن هذا تحريف للكلم عن مواضعه، وأنه من جنس تأويلات القرامطة.

---

(٨٣) الحديث أخرجه الترمذي ولفظه: « لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي - الحديث ». وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٧٤٩٠. وقال الترمذي: « حسن صحيح ».

قال المناوي في شرح الجامع الصغير، في الكلام عن هذا الحديث: « فيه رد لقول الرافضة إن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة ابن الإمام أبي محمد الحسن الخالص وأنه المهدي المنتظر لأنه وإن وافق اسمه اسمه لكن اسم ابيه ليس موافقا لاسم أبيه » (أنظر: فيض القدير ٥/٣٣٢).

(٨٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما أتيح لي من مصادر. ووجدت معناه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « المهدي من عترتي من ولد فاطمة » أخرجه ابن ماجة.

وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة ». أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(٨٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن باب ١٨ أحاديث رقم ٦٧، ٦٨، ٦٩ من أحاديث الباب.

وقول أمير المؤمنين صريح في أنه حسني لا حسيني؛ لأن الحسن والحسين مشبهان من بعض الوجوه بإسماعيل وإسحاق، وإن لم يكونا نبيين.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول لهما: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» (٨٦).

ويقول: «إن إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق».

وكان إسماعيل هو الأكبر والأحلم.

ولهذا قال النبي ﷺ وهو يخطب على المنبر: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» (٨٧).

فكما أن غالب الأنبياء كانوا من ذرية إسحاق، فهكذا كان غالب السادة الأئمة من ذرية الحسين، وكما أن خاتم الأنبياء الذي طبق أمره مشارق الأرض ومغاربها كان من ذرية إسماعيل، فكذلك الخليفة الراشد المهدي الذي هو آخر الخلفاء يكون من ذرية الحسن.

وأيضاً فإن من كان ابن سنتين كان في حكم الكتاب والسنة مستحقاً أن يحجر عليه في بدنه، ويحجر عليه في ماله، حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد، فإنه يتيم، وقد قال الله تعالى:

﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (٨٨).

---

(٨٦) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ١٠. وأبو داود في كتاب السنة باب ٢٠. والترمذي في الطب باب ١٨ وابن ماجة في الطب باب ٣٦. وأحمد ١/٢٣٦، ٢٧٠.

(٨٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب ٩، وفي فضائل أصحاب النبي باب ٢٢، وفي الفتن باب ٢٠، وفي المناقب باب ٢٥. وأبو داود في كتاب السنة باب ١٢، وفي المهدي باب ٨. والترمذي في المناقب باب ٣٠. والنسائي في كتاب الجمعة باب ٢٧.

(٨٨) سورة: النساء، آية: ٦.

فمن لم تفوض الشريعة إليه أمر نفسه كيف تفوض إليه أمر الأمة؟

وكيف يجوز أن يكون إماماً على الأمة من لا يرى ولا يسمع له خبر؟ مع أن الله لا يكلف العباد بطاعة من لا يقدرون على الوصول إليه، وله أربعمائة وأربعون سنة ينتظره من ينتظره وهو لم يخرج، إذ لا وجود له.

وكيف لم يظهر لخواصه وأصحابه المأمونين عليه كما ظهر آباؤه، وما الموجب لهذا الاختفاء الشديد دون غيره من الآباء؟

وما زال العقلاء قديماً وحديثاً يضحكون بمن يثبت هذا، ويعلق دينه به، حتى جعل الزنادقة هذا وأمثاله طريقاً إلى القدح في الملة، وتسفيه عقول أهل الدين إذا كانوا يعتقدون مثل هذا.

لهذا قد اطلع أهل المعرفة على خلق كثير منافقين زنادقة يتسترون بإظهار هذا وأمثاله، ليستميلوا قلوب وعقول الضعفاء وأهل الأهواء، ودخل بسبب ذلك من الفساد ما الله به عليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله يصلح أمر هذه الأمة ويهديهم ويرشدهم.

النذور للمشاهد والمساجد:

وكذلك ما يتعلق بالنذور للمساجد والمشاهد، فإن الله في كتابه وسنة نبيه التي نقلها السابقون والتابعون من أهل بيته وغيرهم قد أمر بعمارة المساجد، وإقامة الصلوات فيها بحسب الإمكان، ونهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن من يفعل ذلك، قال الله تعالى:

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ (٨٩).

---

(٨٩) سورة: التوبة، آية: ١٨.

وقال تعالى:

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ [٩٠].

وقال تعالى:

﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ [٩١].

وقال: ﴿وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾ [٩٢].

وقال: ﴿ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ [٩٣].

قال النبي ﷺ: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» [٩٤].

وقال: «وبشر المشائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» [٩٥].

---

(٩٠) سورة: البقرة، آية: ١١٤.

(٩١) سورة: النور، آية: ٣٦.

(٩٢) سورة: الجن، آية: ١٨.

(٩٣) سورة: الحج، آية: ٤٠.

(٩٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد حديث ٣٤، ٣٥، وفي المسافرين حديث ١٠٣، وفي الزهد حديث ٤٣، ٤٤. والبخاري في كتاب الصلاة باب ٦٥. وأبو داود في كتاب التطوع باب ١. والترمذي في كتاب الصلاة باب ١٢٠، ١٨٩، ٢٠٤. والنسائي في كتاب المساجد باب ١، وفي قيام الليل باب ٦٦، ٦٧. وابن ماجة في الإقامة باب ١٠٠، ١٨٥، وفي المساجد باب ١، ٩، وفي التجارات باب ٤٠. والدارمي في الصلاة باب ١١٣. والإمام أحمد في المسند ١/٢٠، ٥٣، ٦١، ٧٠، ٢٤١؛ ٢/٢٢١، ٢٩٦، ٣٨٦، ٤١٣، ٤٩٨؛ ٦/٣٢٦، ٣٢٧، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٦١.

(٩٥) أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب المساجد باب ١٤.

وقال « من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح »[٩٦].

وقال: « صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة »[٩٧].

وقال: « من تطهر في بيته فأحسن الطهور، وخرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، كانت خطوتاه إحداهما ترفع درجة، والأخرى تضع خطيئة »[٩٨].

وقال: « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر أحب إلى الله »[٩٩].

وقال: « سيكون عليكم أمراء يؤخرن الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة »[١٠٠].

---

(٩٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الآذان باب ٣٧. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥٠٩/٢.

(٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب ٣٠، ٣١. والترمذي في المواقيت باب ٤٧. والنسائي في كتاب الصلاة باب ٢١، وفي الإمامة باب ٤٢. وابن ماجة في كتاب المساجد باب ١٦. ومالك في الموطأ في كتاب الجماعة حديث ١. وأحمد ٣٧٦/١، ٤٥٢؛ ١٠٢/٢، ١١٢، ٢٣٣، ٣٢٨، ٤٥٤، ٥٢٠، ٥٢٥؛ ٥٥/٣.

(٩٨) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب ٤٩، ومسلم في كتاب الطهارة حديث ١٢، وفي المساجد حديث ٢٧٢. وأبو داود من الصلاة باب ٤٨. والنسائي في المساجد باب ٦. وابن ماجة في الطهارة باب ٦، وفي المساجد باب ١٤. والإمام أحمد ١٧٦/٢، ٢٥٢.

(٩٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤٥/٥. وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب ٤٧. والنسائي في كتاب الإمامة باب ٤٥.

(١٠٠) أخرجه مسلم في كتاب المساجد حديث ٢٤١، ٢٤٣. والنسائي في كتاب الإمامة. وابن ماجة في كتاب الإقامة باب ١٥٠. والدارمي في كتاب الصلاة باب ٢٥. والإمام أحمد ٧/٦.

وقال: « يصلون لكم، فإن أحسنوا فلكم، وإن أساءوا فلكم وعليهم ».

وهذا باب واسع جداً.

وقال أيضاً: « لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[١]. يحذر مما فعلوا. قالوا: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً. وهذا قاله في مرضه.

وقال قبل موته بخمس: « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذون القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك »[١٠٢].

ولما ذكر كنيسة الحبشة قال: « أولئك إذا مات الرجل فيهم بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[١٠٣].

وكل هذه الأحاديث في الصحاح المشاهير.

وقال أيضاً: « لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج »[١٠٤]. رواه الترمذي وغيره وقال: حديث حسن.

---

(١٠٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب ٤٨، ٥٢، وفي كتاب الجنائز باب ٩٦، وفي الأنبياء باب ٥٠، وفي اللباس باب ١٩، وفي المغازي باب ٨٣. ومسلم في المساجد حديث ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣. وأبو داود في كتاب الجنائز باب ٧٢، ٧٨. والترمذي في الصلاة باب ١٢١. والنسائي في المساجد باب ١٣، وفي الجنائز باب ١٠٦. ومالك في الموطأ في كتاب السفر حديث ٨٥، وفي المدينة حديث ١٧. والدارمي في كتاب الصلاة باب ١٢٠. وأحمد ١/١٩٥، ٢١٨، ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤؛ ٢/٢٣٩، ٢٤٦، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٦٦، ٣٩٦، ٤٥٤، ٥١٨؛ ٥/١٨٤، ١٨٦، ٢٠٤؛ ٦/٣٤، ٨٠، ١٢١، ١٤٩، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٧٥.

(١٠٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب ٤٨، ٥٤، وفي الجنائز باب ٧٠، وفي مناقب الأنصار باب ٣٧. ومسلم في المساجد حديث ١٦، وفي الفتن حديث ١١٠، ١١٦، ١٣١. والنسائي في المساجد باب ١٣.

(١٠٤) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب ٦١. وابن ماجة في كتاب الجنائز باب ٤٩. =

فإذا كان النبي ﷺ قد لعن الذين يتخذون على القبور المساجد، ويسرجون عليها الضوء، فكيف يستحل مسلم أن يجعل هذا طاعة وقربة؟!!

وفي صحيح مسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ فأمرني ألا أدع قبر مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته»(١٠٥).

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»(١٠٦).

وقال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»(١٠٧).

فنهى النبي ﷺ عن الاجتماع عند قبره.

وأمر بالصلاة عليه في جميع المواضع، فإن الصلاة عليه تصل إليه من جميع المواضع.

وهذه الأحاديث رواها أهل بيته، مثل: علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي، ومثل: عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

فكانوا هم وجيرانهم من علماء أهل المدينة ينهون عن البدع التي عند قبره أو غير قبر غيره، امتثالاً لأمره، ومتابعة لشريعته.

= وأحمد ٢/٣٣٧، ٣٥٦؛ ٣/٤٤٣.

(١٠٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز حديث ٩٣، وأبو داود في كتاب الجنائز باب ٦٨. والترمذي في كتاب الجنائز باب ٥٦ والنسائي في كتاب الجنائز باب ٩٩. والإمام أحمد ١/٨٧، ٩٦، ١٢٩، ١٣٨، ١٤٥.

(١٠٦) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب السفر حديث ٨٥ والإمام أحمد ٢/٢٤٦.

(١٠٧) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك باب ٩٦، والإمام أحمد في مسنده ٢/٣٦٧.

فإن من مبدأ عبادة الأوثان: العكوف على الأنبياء والصالحين، والعكوف على تماثيلهم، وإن كانت وقعت بغير ذلك.

وقد ذكر الله في كتابه عن المشركين أنهم قالوا:

﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾ (١٠٨).

وقد روى طائفة من علماء السلف أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين، فلما ماتوا بنوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم.

وكذلك قال ابن عباس في قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى. ومنات الثالثة الأخرى﴾ (١٠٩). قال ابن عباس: كان اللات رجلاً يلت السويق للحجاج، فلما مات عكفوا على قبره، ولهذا قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد». ونهى أن يصلى عند قبره.

ولهذا لما بنى المسلمون حجرته حرفوا مؤخرها، وسنموه لئلا يصلي إليه [أحد] (١١٠). فإنه ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها» (١١١) رواه مسلم.

وكان ﷺ إذا خرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم، ويدعو لهم.

---

(١٠٨) سورة: نوح، آية: ٢٣.

(١٠٩) سورة: النجم، آية: ١٩.

(١١٠) ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

(١١١) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٩٧، ٩٨. وأبو داود في الجنائز باب ٧٣. والترمذي في الجنائز باب ٥٧. والنسائي في القبلة باب ١١. والإمام أحمد ١٣٥/٤. وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث ٤٧، ٩٧ وصححه.

وعلم أصحابه أن يقولوا إذا زاروا القبور: «سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لكم العافية، اللهم آجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم»[112].

هذا مع أن في البقيع إبراهيم وبناته أم كلثوم ورقية، وسيدة نساء العالمين فاطمة، وكانت إحداهن دفنت فيه قديماً قريباً من غزوة بدر، ومع ذلك فلم يحدث على أولئك السادة شيئاً من هذه المنكرات، بل المشروع التحية لهم، والدعاء بالاستغفار وغيره.

وكذلك في حقه، أمر بالصلاة والسلام عليه من القرب والبعد، وقال: «أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني: بليت. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[113].

وقال: «ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»[114].

---

(١١٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز حديث ١٠٢. وأبو داود في كتاب الجنائز باب ٧٩. والنسائي في كتاب الطهارة باب ١٠٩، وفي الجنائز باب ١٠٣. وابن ماجة في الجنائز باب ٣٦، وفي الزهد باب ٣٦. ومالك في الموطأ في كتاب الطهارة حديث رقم ٢٨.

(١١٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب ٢٠١، وفي الوتر باب ٢٦. والنسائي في كتاب الجمعة باب ٥. وابن ماجة في كتاب الإقامة باب ٧٩، وفي الجنائز باب ٦٥. والدارمي في كتاب الصلاة باب ٢٠٦. والامام أحمد ٤/٨.

(١١٤) أخرج أبو داود في سننه في كتاب المناسك باب ٩٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام». وأورده السيوطي في الجامع الصغير حديث ٨٦، ٧٩ وضعفه.

وكل هذه الأحاديث ثابتة عن أهل المعرفة بحديث النبي ﷺ.

فالدعاء والاستغفار يصل إلى الميت عند قبره وغير قبره، وهو الذي ينبغي للمسلم أن يعامل به موتى المسلمين من الدعاء لهم بأنواع الدعاء، كما كان في حياته يدعو لهم.

وهذا رسول الله ﷺ قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم تسليماً في حياته ومماته، وعلى آل بيته.

وأمرنا أن ندعو للمؤمنين والمؤمنات في محياهم ومماتهم، عند قبورهم وغير قبورهم.

ونهانا الله أن نجعل لله أنداداً، أو نشبه بيت المخلوق الذي هو قبره ببيت الله الذي هو الكعبة البيت الحرام، فإن الله أمرنا أن نحج ونصلي إليه، ونطوف به، وشرع لنا أن نستلم أركانه، ونقبل الحجر الأسود الذي جعله الله بمنزلة يمينه.

قال ابن عباس: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن استلمه وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه».

وشرع كسوة الكعبة، وتعليق الأستار عليها، وكان يتعلق من يتعلق بأستار الكعبة كالمتعلق بأذيال المستجير به، فلا يجوز أن تضاهى بيوت المخلوقين ببيت الخالق.

ولهذا كان السلف ينهون من زار قبر النبي ﷺ أن يقبله، بل يسلم عليه بأبي هو وأمي ﷺ، ويصلي عليه كما كان السلف يفعلون.

فإذا كان السلف أعرف بدين الله وسنة نبيه وحقوقه، وحقوق السابقين والتابعين من أهل البيت وغيرهم، ولم يفعلوا شيئاً من هذه البدع التي تشبه

الشرك وعبادة الأوثان، لأن الله ورسوله نهاهم عن ذلك، بل يعبدون الله وحده لا شريك له، مخلصين له الدين كما أمر الله به ورسوله، ويعمرون بيوت الله بقلوبهم وجوارحهم من الصلاة والقراءة، والذكر والدعاء وغير ذلك.

فكيف يحل للمسلم أن يعدل عن كتاب الله، وشريعة رسوله، وسبيل السابقين من المؤمنين، إلى ما أحدثه ناس آخرون، إما عمداً وإما خطأً.

فخوطب حامل هذا الكتاب بأن جميع هذه البدع التي على قبور الأنبياء والسادة من آل البيت والمشايخ المخالفة للكتاب والسنة، ليس للمسلم أن يعين عليها، هذا إذا كانت القبور صحيحة، فكيف وأكثر هذه القبور مطعون فيها ؟.

وإذا كانت هذه النذور للقبور معصية قد نهى الله عنها ورسوله والمؤمنون السابقون، فقد قال النبي ﷺ: «من نذر أن يعطي الله فليطعمه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصيه» (١١٥).

وقال ﷺ: «كفارة النذر كفارة اليمين» (١١٦). وهذا الحديث في الصحاح.

فإذا كان النذر طاعة لله ورسوله، مثل أن ينذر صلاة أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو نحو ذلك، فهذا عليه أن يعني به.

---

(١١٥) أخرجه البخاري في كتاب الايمان باب ٢٨، ٣١. وأبو داود في كتاب الايمان باب ١٩. والترمذي في كتاب النذور باب ٢. والنسائي كتاب الايمان باب ٢٧، ٢٨. وابن ماجة في كتاب الكفارات باب ١٦. والدارمي في النذور باب ٣. ومالك في الموطأ كتاب النذور حديث ٨. والإمام أحمد في المسند ٩/٣٦، ٤١، ٢٠٨، ٢٢٤.

(١١٦) أخرجه مسلم في النذر حديث ١٢. وأبو داود في كتاب الايمان باب ٢٥. والترمذي في النذور باب ٤. والنسائي في الأيمان باب ٤١. وأحمد في المسند ٤/١٤٤، ١٣٦، ١٤٧.

وإذا كان المنذر معصية كفراً أو غير كفر، مثل: أن ينذر للأصنام كالنذور التي بالهند، ومثلما كان المشركون ينذرون لآلهتهم، مثل: اللات التي كانت بالطائف، والعزى التي كانت بعرفة قريباً من مكة، ومناة الثالثة الأخرى التي كانت لأهل المدينة.

وهذه المدائن الثلاث هي مدائن أرض الحجاز، كانوا ينذرون لها النذور، ويتعبدون لها، ويتوسلون بها إلى الله في حوائجهم، كما أخبر عنهم بقوله:

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (١١٧). ومثلما ينذر الجهال من المسلمين لعين ماء، أو بئر من الآبار، أو قناة ماء أو مغارة، أو حجر، أو شجرة من الأشجار، أو قبر من القبور، وإن كان قبر نبي أو رجل صالح، أو ينذر زيتاً أو شمعاً أو كسوة أو ذهباً، أو فضة لبعض هذه الأشياء، فإن هذا كله نذر معصية لا يوفى به.

لكن من العلماء من يقول: على صاحبه كفارة يمين، لما روى أهل السنن عن النبي ﷺ: «لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين» (١١٨).

وفي الصحيح عنه أنه قال: «كفارة النذر كفارة يمين» (١١٩).

وإذا صرف من ذلك المنذور شيء في قربة من القربات المشروعة كان حسناً، مثل: أن يصرف الدهن إلى تنوير بيوت الله، ويصرف المال والكسوة إلى من يستحقه من المسلمين ومن آل بيت رسول الله ﷺ، وسائر المؤمنين، وفي سائر المصالح التي أمر الله بها ورسوله.

---

(١١٧) سورة: الزمر، آية: ٣.

(١١٨) أخرجه مسلم في النذر حديث ٨. وأبو داود في الأيمان باب ١٢، ١٩. والترمذي في النذور باب ١. والنسائي في الأيمان باب ١٧، ٣١، ٤١. وابن ماجة في الكفارات باب ١٦. والإمام أحمد ٢/٢٠٧، ٤٢٩، ٤٣٢؛ ٦/٢٤٧.

(١١٩) سبق تخريجه.

وإذا اعتقد بعض الجهال أن بعض هذه النذور المحرمة قد قضت حاجته بجلب المنفعة من المال والعافية ونحو ذلك، أو بدفع المضرة من العدو ونحوه، فقد غلط في ذلك.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير، ولكنه يستخرج به من البخيل»[120].

فعد النذر مكروهاً، وإن كان الوفاء به واجباً إذا كان المنذور طاعة لله ورسوله ﷺ.

وقد أخبر النبي ﷺ أن النذر لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل، وهذا المعنى قد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه، فيما كان قربة محضة لله، فكيف بنذر شرك؟ فإنه لا يجوز نذره ولا الوفاء به.

وهذا وإن كان قد عمر الإسلام، وكثر العكوف على القبور التي هي للصالحين من أهل البيت وغيرهم، فعلى الناس أن يطيعوا الله ورسوله، ويتبعوا دين الله الذي بعث به نبيه، ﷺ، ولا يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، وليعبدوا الله وحده لا شريك له.

كما قال تعالى:

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[121].

---

(١٢٠) أخرجه البخاري في كتاب الايمان باب ٢٦، وفي القدر باب ٦. ومسلم في كتاب القدر حديث ٢، ٣، ٤، ٥، ٦. وأبو داود في كتاب الأيمان باب ١٨. والترمذي في كتاب النذور باب ١١. والنسائي في كتاب الأيمان باب ٢٤ - ٢٦. وابن ماجة في كتاب الكفارات باب ١٥. والإمام أحمد ٢/٦١، ٢٣٥، ٢٤٢، ٤٠١، ٣١٤، ٤١٢، ٤٦٣.

(١٢١) سورة: الزخرف، آية: ٤٥.

وقال تعالى:

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (١٢٢).

وقال تعالى:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ (١٢٣).

وقال تعالى في حق الذين كانوا يدعون الملائكة والنبيين:

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجعون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ (١٢٤).

وقال: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا من دون الله أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ (١٢٥).

ورد على من اتخذ شفعاء من دونه فقال:

﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون. وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون. قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهاد أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون﴾ (١٢٦).

---

(١٢٢) سورة: الشورى، آية: ١٣.

(١٢٣) سورة: النحل، آية: ٣٦.

(١٢٤) سورة: الإسراء، آية: ٥٦.

(١٢٥) سورة: آل عمران، آية: ٨٠.

(١٢٦) سورة: الزمر، آية: ٤٣.

وقال: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [١٢٧].

وقال تعالى:

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [١٢٨].

وقال:

﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ [١٢٩].

وقال تعالى:

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [١٣٠].

قال:

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [١٣١].

وكتب الله من أولها إلى آخرها تأمر بإخلاص الدين لله، ولا سيما الكتاب الذي بعث به محمد ﷺ أو الشريعة التي جاء بها، فإنها كملت الدين.

قال تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [١٣٢].

وقال:

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين

---

(١٢٧) سورة: التوبة، آية: ٣١.
(١٢٨) سورة: البقرة، آية: ٢٥٥.
(١٢٩) سورة: النجم، آية: ٢٦.
(١٣٠) سورة، الأنبياء، آية: ٢٨.
(١٣١) سورة: سبأ، آية: ٢٣.
(١٣٢) سورة: المائدة، آية: ٣.

لا يعلمون﴾ [١٣٣] .

وقد جعل قوام الأمر بالإخلاص لله، والعدل في الأمور كلها، كما قال تعالى:

﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون. فريقاً هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ [١٣٤] .

ولقد خلص النبي ﷺ التوحيد من دقيق الشرك وجليله، حتى قال: « من حلف بغير الله فقد أشرك » [١٣٥] رواه الترمذي وصححه.

وقال: « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو لصمت » [١٣٦] . وهذا مشهور في الصحاح.

وقال: « ولا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد » [١٣٧] .

وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: « أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده » [١٣٨] .

وروي عنه أنه قال: « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل » [١٣٩] .

---

(١٣٣) سورة: الجاثية، آية: ١٨.

(١٣٤) سورة: الأعراف، آية: ٢٩.

(١٣٥) أخرجه الترمذي في النذور باب ٩. والنسائي في الأيمان باب ٤. وابن ماجة في الكفارات باب ٢. والدارمي في النذور باب ٦. والإمام أحمد ١/٤٧؛ ٢/٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٧، ٩٨، ١٢٥، ١٤٢.

(١٣٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٧. والترمذي في النذور باب ٨. وغيرهما.

(١٣٧) أخرجه الدارمي في الاستئذان باب ٦٣. وابن ماجة في الكفارات باب ١٣. والإمام أحمد ٥/٧٢، ٣٩٣.

(١٣٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧.

(١٣٩) أخرجه الإمام أحمد ٤/٤٠٣.



فهرس الكتاب